2-الفضاء الجغرافي بالسودان الغربي[1]:

تنحصر الجبال في المنطقة الغربية والشرقية من غرب إفريقيا، وهي تمثل أحد مميزات مناطق الغابات، ففي الغرب تعتبر فوتا جالون/Fouta Djallon أهم كتلة جبلية، وتمتد في كل من غينيا كوناكري وغرب ليبيريا وشمال سيراليون حاليا، ويعد جبل نيمبا/Nimba أعلى قممها، إذ يصل ارتفاعه إلى 1752م، بينما يبلغ معدل الارتفاع في شمال هذه الجبال قرب حدود السنغال الجنوبية نحو 1500م، أما المنطقة الوسطى فمتوسط ارتفاعها هو: 900م، وفي الشرق توجد مرتفعات أداماوا/Adamoua، ويبلغ معدل ارتفاعها نحو 1035م.

يمكننا أن نلحظ طغيان ظاهرة الانبساط في المظهر الطبيعي لبلاد السودان، حيث لا نجد انكسارات عميقة وواسعة، أو مرتفعات تضاريسية تحجب مناطق السودان بعضها عن بعض، وأهم المرتفعات هي منطقة الفوتاجالون، وهذه المنطقة الجبلية كانت مهمة سياسيا في تاريخ بلاد السودان خلال العصر الوسيط، وما نخلص إليه هو أن ظاهرة الانبساط شكلت عاملا إيجابيا في عملية التواصل بين السودانيين في العصر الذي نؤرخ له، إذ أسهمت في تيسير عمليات التبادل الاقتصادي و التفاعل الثقافي بينهم، كما أنها كانت عاملا مسهما في استقطاب التجار من صنهاجة الصحراء ومن بلاد المغرب الإسلامي، الذين كانوا لا يكتفون ببلوغ مدن السودان الغربي القريبة من الصحراء، بل يصلون إلى العديد من المناطق الداخلية.

يمثل **نهر النيجر** أهم أنهار السودان الغربي، فحوضه يمتد على كل مجاله تقريبا، إذ يمتد من 5-16 درجة شمالا فيربط بين أقاليم طبيعية مختلفة، وهو ينبع من هضبة فوتا جالون/Fouta Djallon ويمتد في غرب إفريقيا على شكل قوس يتجه من الجنوب الغربي حتى الشمال الشرقي على مسافة 4160 كلم، فيربط منطقة السافانا بالغابات، ويحاذي في منعرجه الشمالي المناطق الساحلية، ويتكون عند بدايته في جنوب بمكو من عدد من المجاري التي تنتشر في مساحات واسعة من الأرض مكونة ما يسمى بالدلتا الداخلية للنيجر، حيث تتحول هذه الدلتا إلى بحيرة عظيمة في موسم الفيضان، ويسير النهر بعد ذلك على هذه الصورة حتى يصل إلى تمبكت، وبعدها تتحد مجاريه ويصنع ثنية عظيمة: يتجه بعدها نحو الجنوب ليحط في المحيط الأطلسي.

أما **نهر السنغال** فينبع من نفس المنطقة التي ينبع منها نهر النيجر (هضبة فوتاجالون)، ويتجه بعدها شمالا، ثم غربا نحو المحيط الأطلسي على مسافة 1430 كلم، ويمتاز بانحدار مجراه التدريجي في المنطقة المستوية الساحلية، وهو قليل العمق، إذ لا يتجاوز عمقه 3 أمتار لمسافة تبلغ 350 كلم من المصب، ويفصل في مجراه الشمالي بين الأراضي الصحراوية القاحلة وبين الأراضي الخضراء الخصبة.

[1] الأستاذ بوبيدي حسين جامعة قسنطينة.

ويعد نهر غامبيا أيضا طريقا مهما للتواصل، يبلغ طوله 800 كلم، هو صالح للملاحة على مسافة 465كلم، كما تحيط به سهول خصبة، ويخترق جزءا مهما من منطقة السافانا التي تعد أكبر منطقة تعميرا، كما يمكن استعمال القوارب في نهر الكازامانس الذي يبلغ طوله 320 كلم، ومناطق من نهر سالوم الممتد على مسافة 250 كلم.

لا يفصل بين نهر النيجر والأنهار الأخرى كالسنغال أو غامبيا مرتفعات كبيرة، مما يسهل على الأفراد رسم مسالكهم التجارية من خلال الخطوط النهرية القابلة للملاحة، كما أن الروافد المختلفة للنهرين تسمح برسم شبكة للملاحة النهرية بين مختلف المناطق.

3-الأقاليم الطبيعية والمناخية:

أ- **الإقليم الصحراوي الساحلي:** يعد امتدادا للصحراء بحسب زحف الرمال داخل إقليم السافانا، ليشكل إقليما متعرجا متداخلا مع منطقة الساحل، ويمثل تواصلا لمجالات استقرار العناصر الصحراوية المرتبطة قبليا واقتصاديا بالصحراء الكبرى، ويمكن تقدير اتساعه بما بين 200 و 300 كلم، وهو المجال الذي شبهه الإدريسي بمجابات الصحراء التي أكثر أرضها رمال تنقلها الرياح من مكان إلى آخر، ووصفته مختلف النصوص الجغرافية بشدة الحرارة وقلة التساقط، حيث لا يتجاوز متوسطه: 100 ملل سنويا، لكن انفتاح مناطقه الجنوبية على مناخ الإقليم الساحلي الرطب ينتج عنه الاستئثار بكميات من المطر تفوق كمية التساقطات الحاصلة في الشطر الشمالي، وذلك لابتعاد هذا الأخير عن تأثير الرياح الموسمية، ولهذا كلما اتجهنا جنوبا يزيد معدل التساقطات، ليصل في بعض المناطق إلى ما بين 150 و300 ملم سنويا.

ب- **الإقليم السوداني:** وهو المجال الذي يمثل الامتداد الأساسي للممالك السودانية الوسيطية: التكرور، غانة، السنغاي، بما فيها مملكة مالي التي كان مركزها أقرب للمناطق الجنوبية من هذا الإقليم، وهو حزام متباين في اتساعه من الشرق إلى الغرب، أراضيه عشبية متموجة تتناثر فيها الأشجار، وتزداد حشائش السافانا غزارة وارتفاعا كلما اتجهنا جنوبا، ومع أن المناطق الشمالية منه والتي تتداخل مع مجالات إقليم الساحل تعاني من مشكلة اضطراب التساقطات المطرية، مما يصعب قيام أنشطة زراعية إلا على ضفاف نهري النيجر والسنغال والمناطق الخصبة المحيطة بروافدهما، فإننا عندما نتجه جنوبا نجد أفضل الشروط

الممكنة للاستقرار البشري، وممارسة مختلف الأنشطة الاقتصادية؛ كالزراعة التي تتوفر لها أخصب الأراضي، ورعي المواشي حيث تتوفر الكثير من الأعشاب، حيث تتراوح كمية التساقطات المطرية بما بين 300 و750 ملم سنويا مرتفعة كلما اتجهنا جنوبا، لكن هذه التساقطات كثيرا ما تكون غير منتظمة وخاصة بين شهري جوان وسبتمبر مما يجعل أهم المناطق المزروعة تلك التي تقع على ضفاف الأنهار وروافدها، ومع غناه بالعشب وكثافة الأشجار به وملائمته الكبيرة لنشاط الصيد، فإنه موطن يبدأ في جنوبه حضور مرض النوم (داء المثقبيات) الذي تسببه ذبابة: تسي تسي.

ج- إقليم الغابات: يمثل إقليما مميزا يمتد غربا إلى غاية خليج غينيا، ويصل في أقصى اتساع له من الشمال إلى الجنوب لحوالي 300كلم، حيث تغطي هذه المنطقة الأشجار والنباتات الاستوائية الكثيفة، وتكثر فيها السهول والوديان والأنهار الساحلية، وتتميز بالحرارة والرطوبة الشديدة، وتتجاوز كمية التساقطات المطرية في هذه المجالات 1000 ملم سنويا، وهي منطقة غير مناسبة للأنشطة البشرية المختلفة، خصوصا إذا استحضرنا الإمكانيات البسيطة للإنسان حينها، فرغم التنوع النباتي وثمار مختلف الأشجار، لا توفر من الغذاء الحيواني باستثناء الأسماك سوى خيارات محدودة؛ بسبب الأمراض التي تشكل عقبة أمام الأنشطة الرعوية، وخصوصا داء المثقبيات الذي يصيب الإنسان والحيوان.

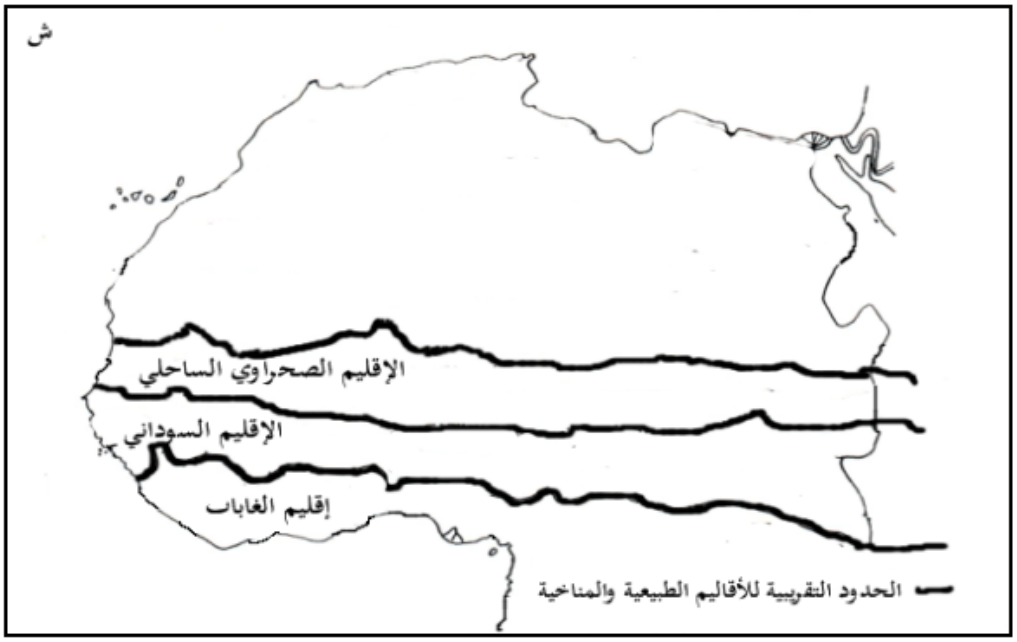

خريطة الأقاليم الطبيعية والمناخية في السودان الغربي